الأيام
صحيفة مغربية مستقلة
الأسبوعية
ALAYAM
alayam@wanadoopro.ma
مدير النشر: نورالدين مفتاح

ينضاف مسلسل العين والمطفية لمخرجه شفيق السحيمي الى ريبرتوار الدراما التلفزية التي تنتجها القناة الوطنية الأولى، ومن خلال هذه الورقة سنقف عند بعض الإشارات الفورية المؤثرة في هذا العمل من الداخل والخارج، مؤجلين النظر في خصائص أخرى الى حين نضوجها مع توالي الحلقات.

مسلسل "العين والمطفية" التلفزيوني

خمس ملاحظات دون تأجيل

في مقابلة لكرة القدم يمكن ان تنتظر الى آخر ثانية طمعا في ان يغير لاعب نتيجة اللقاء بهدف مدروس او طائش فما يهم في هذه اللعبة الشعبية أولا وأخيرا هو النتيجة ولا يشفع لفريق منهزم أداؤه الساحر خلال المقابلة لأن سبورة النتائج لا تعترف سوى بالأهداف، أما في العمل الدرامي التلفزي فمن البلادة ان ننتظر الحلقة السابعة والعشرين او الأخيرة لنعرف النتيجة الفنية لذات الإبداع، فنهاية سعيدة على الطريقة الهوليودية لا تنقذ عملا هشا ولقطة ممتازة في آخر حلقة لا ترفع الفنية قيد أنملة. وإذا ما اتفقنا على هذا الفرق الذي يميز الرياضة كنتيجة والفن كبناء، أمكننا ان نسجل ملاحظات أولية حول مسلسل "العين والمطفية" انطلاقا من حلقاته الأربع الأولى.

أولا، التلفزة الوطنية الأولى هي منتجة هذا المسلسل ومنفذه (أي الإنتاج) هو المؤلف (صاحب القصة والسيناريو والحوار) والبطل ومدير الممثلين والمخرج وما لم يذكره الجينيريك كان أعظم (أي معاينة أماكن التصوير، الكاستينغ والموسيقى...). فماذا يعني هذا كله؟ يعني ببساطة ان قسم الإنتاج بزنقة البريهي يقدم على إنتاج دراما مع علمه المسبق ان شخصا واحدا سوف يقدم بأكثر من مهمة داخل العمل الواحد، لنجد أنفسنا أمام مسلسل درامي من التساؤلات.

لماذا تشجع تلفزتنا الاحتكار وتنفق عليه من المال العام، وكان هذه الأرض لم تنجب غير السحيمي ليكون على فن قدير؟ ألا تعلم تلفزتنا -في شخص المسؤول عن قسم الدراما- ان احتكار الاختصاصات يضيع فرص عمل حقيقية ونادرة على طاقات مغربية عاطلة ومعطلة تنهج قسرا سياسة الانتظار مع المنتظرين؟ وإذا قالت مؤسسة ومعها أنصاف مبدعين إن المغرب كله لا يتوفر على سيناريست واحد، واستغل هذا الطرح الملغوم مخرجون ليقوموا بدور المؤلف، فلماذا لا نبحث عن مؤلفين شباب ونجري لهم كاستينغ تماما كما نفعل نظريا مع الممثلين او نخص كل عمل درامي بورشة تاليف او نستعين في المعالجة الدرامية بكفاءة عربية تشرف في نفس الوقت على تدريب طاقات مغربية؟

وإذا كان المرخصون بالاحتكار والمستفيدون منه يغنون أغنية الميزانية الضعيفة المخصصة للمسلسل وبالتالي يجوزون لشخص الجمع بين مهام عدة، فهل سيرفض سيناريست او مدير الممثلين أو مبدع موسيقى من جيل الشباب فرصة عمله الأولى مقابل أجر نسبيا ضعيف أم ان أكل الحقوق بدعوى "أنا فنانكم الأعلى" هو خلفية هذه المهازل؟

لقطة من المسلسل

الملاحظة الثانية هو ان المخرج في "العين والمطفية" لا يمكنه إلا ان يقدم عمله برؤية أحادية ما دام أنه يفعل كل شيء بمفرده، فالمؤلف/المخرج يضيع على نفسه ومنتوجه فرصة الاغتناء برؤية فنية ثانية، والمخرج/الممثل يفوت فرصة اكتشاف طاقاته في التشخيص، ومدير الممثلين/البطل لا يمكنه متابعة اللقطات والمتواليات التي يشارك فيها (وما أكثرها في هذا المسلسل) والمخرج/المنتج المنفذ لا يملك سوى ان يحسب لجيبه حسابات والنتيجة الحتمية لهذه "اللخبطة" قيمة فنية محدودة لكل عمل بهذه الخصائص مهما بلغت عبقرية صانعه. فلماذا لا تفرض التلفزة الأولى إذن بطاقة تقنية مفصلة للمشاركين في كل مسلسل مع منع الجمع بين أكثر من مهمة مادمنا جميعا في بداية المشوار؟ ولماذا لا يحترم الفنان نفسه فيدع للمنتج إدارته المالية وللمخرج إدارته الفنية وللموسيقى موسيقاه وللمؤلف نصه...؟

أما الملاحظة الثالثة فهي مراهنة المخرج على مجموعة كبيرة من الوجوه الجديدة، وهو اختيار لن يرضي قطعا الممثلين المحترفين الذين ينتظرون فرصة عمل كهلال عيد الفطر، ولكنه أثبت نجاحه لكون هؤلاء الممثلين الذين طلعوا علينا لأول مرة قدموا أدوارهم بشكل تلقائي مقنع ساعدتهم عليه ملامحهم البدوية القوية والقاؤهم الطبيعي. لكن هذه النقطة الحسنة انكسرت على يد جينيريك سخيف صفف الأسماء دون وضع صور الممثلين بجانبها كما يفعل من سبقنا للدراما كما وجودة، وهو الأمر الذي لن يقرب الممثلين المغاربة من الجمهور (من أمثلة ذلك الشيخ الرائع الذي يلعب دور سي مصطفى والابنه واخته، الشاب النقابي، زوجته، السبيطي، المقدم، الخماسون...)

الخلاصة الرابعة هي مراهنة صاحب العمل عى البادية المغربية كفضاء درامي، وهو اختيار يدخل في إطار حريات المبدع ولا يمكن لغير المنتج فرض رأي مغاير (الجهة المنتجة يمكن ان تفرض وتطلب عملا فضاؤه الجبل او الصحراء او الماء او الفضاء...).

وإذا كان اختيار البادية ليس جديدا علينا، فما يُخشى منه هو السطحية في سرد الأحداث وبناء الشخوص وتقديم الرجل البدوي، إيمانا منا بان الحلقات الأربع الأولى لم تبرز صراعا حقيقيا يهيء تصاعدا في الخط الدرامي (مقتل الشعوذ كان موقفا ضعيفا وإن تحول قاتله الى لغز وموت السبيطي فاقد الذاكرة! كان أيضا مفاجئا!) وفي كل الأحوال سننتظر الحلقات القادمة لنقف عند درجة عمق الأحداث والفضاء وأصحابه.

أما الملاحظة الخامسة التي لا تقبل التاجيل في تقديرنا فتكمن في الأداء المقنع لشفيق السحيمي كممثل يؤدي دور سيدي احمد الهبطي، وهي شخصية قوية صارمة، ميالة الى السلطة دون ان تعدم بعدا مرحا ينزع ضحكات من فيه المشاهد وكلنا مشاهدون.

●● أبو المهدي